الآداب
المجلد:21، العــدد:01، ديسمبر 2021
الصفحات: 442 - 460

الروابط الحجاجية في القرآن الكريم / نماذج مختارة

The Argumentative Links in the Holy Quran /Selected Models

د. مسعودة الساكر[1]

[1]جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي -الجزائر، saker-messaouda@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2021/09/20 تاريخ القبول: 2021/12/12 تاريخ النشر: 2021/12/15

ملخص:

الحجاجُ أسلوبُ الإقناعِ، يَهتم بدراسةِ الفعالية الخطابية التي يتّبعها المحاجّ؛ قصد التأثير في الأخر(المحاجَج) وإقناعه بالأطروحة المقترحة، مجاله واسع ومتشعب، يرتبط بمختلف العلوم الإيديولوجية؛ ولهذا اختلف باختلافها، آلياته متنوعة، منها الروابط الحجاجية، التي ترتبط بالبنية الداخلية للنص، وتعمل على الربط بين مجموع الحجج، أو بين الحجج والنتائج، ابتغاء توجيه الحجاج نحو نتيجة مقصودة، والنص القرآني يُعتبر نصا حجاجيا بامتياز،تضمن روابط حجاجية متنوعة، عملت على اتساقه وانسجامه، وأعطته قوة تأثيرية مضاعفة

كلمات مفتاحية: الحجاج، الروابط الحجاجية، التساوق، التعارض، النتيجة، الحجة.

Abstract :

Argumentation is a style of persuasion, concerned with study of the rhetorical effectiveness of arguing, with the intention of influencing the other (the arguments) and convincing them of the proposed thesis, its field is broad and manifold, related to various ideological sciences; this is why it differs in its differences; its mechanisms are diverse, including the argumentative links, which are linked to the internal structure of the text, and work to link the total arguments, or between the arguments and the results, in order to guide the arguments towards an intended result. The Quranic text is considered an argumentative text par excellence; which includes various argumentative links, which worked on its consistency and coherence, and gave it a double impact force

المؤلف المراسل: مسعودة الساكر.

المنارة للاستشارات
ww

Keywords :arguments; argumentative link; coherence; contradiction; outcome-argument.

مقدمة:

الحجاجُ استراتيجية تواصلية، يعتمدها باني الخطاب (المحاجّ)؛ لاستمالة مفككه (المحاجَج)، وإقناعه بوجه نظره، بتقديم الحجج والبراهين؛ لتحقيق المقاصد، إنه أسلوب تواصلي متشعب، لا يمكن الاستغناء عنه في مختلف العلوم المعرفية: (السياسية–الاجتماعية–الفلسفية–القضائية...) فهو "بُعدٌ ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"[1].

حظي –الحجاج –باهتمام كبير من قبل الدارسين العرب والغرب، قديما وحديثا؛ إذ أن جذوره تعود إلى الحضارة اليونانية، عند كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو، أما في الدراسات الحجاجية العربية، فأول ما ظهرت مع الدراسات القرآنية والنبوية، إضافة إلى علوم أخرى لغوية وفلسفية، ويُعتبر هذا الموروث الركيزة الأساسية التي انطلقت منها الدراسات الحجاجية الحديثة، التي تميزت بالدقة والوضوح، مثل دراسات:(شايم بيرلمان – ديكرو وانسكومبر– مايير...)، والباحثون العرب المحدثون كذلك اهتموا بالدرس الحجاجي وتقنياته، وألفوا الكتب والمقالات في هذا، منهم: (طه عبد الرحمان– أبو بكر العزاوي– محمد العمري...).

فبيرلمانوتيتيكاه نظرا إلى الحجاج على أنه بلاغة جديدة، تهتم بأبعاد حديثة، تختلف عن الخطابة والجدل، موضوعه –الحجاج–حسبهما "دراسة تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تذهب بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2]أما عن غايته، فتكمن في تقوية درجة الإقناع بالأطروحة المقترحة عند المتلقين، يقول "ديكرو" في هذا " إن هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية، التي تسمح بإثارة وتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تُقدّم لهم"[3].

أما "ديكورoswalad Ducrot"، والذي انطلق من فكرة " أننا نتكلم بقصد التأثير في الآخر)، فقد حصر هووانسكومبر، الحجاج ضمن اللغة نفسها، باعتبارها مجموعة من الأقوال (الحجج والنتائج)، تربط بينهما مجموعة من العلاقات (المؤشرات)، التي تعمل على توجيه القول

المنارة للاستشارات
ww

وجهة معينة ،وعرفاه –الحجاج– على أنه يتم (بتقديم المتكلم قولا (ق1): (أو مجموعة أقوال) يفضيإلى التسليم بقول آخر (ق2): (أو مجموعة أقوال أخرى"[4]؛حيث تمثل (ق1) الحجة، أما (ق2) فتمثل النتيجة، كما ركز ديكور على السلم الحجاجي وقوانينه، وترتيب الحجج فيه، والروابط الحجاجية النحوية والتداولية.

أما (طه عبد الرحمان)،والذي تميّزت نظريته بطابع فلسفي، وزواج بين الدراسات العربية القديمة، والغربية الحديثة، فالحجاج عنده هو الأصل في الخطاب، الذي هو عملية تواصلية، تقوم بين طرفين، يُجسدان وجهين، يمثل الأول (قصد الإدعاء)، أما الثاني فيتجلى في (قصد الاعتراض)؛إذ يقول "حد الحجاج أنه كل منطوق موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها"[5].

في حين نظر "أبو بكر العزاوي" إلى الحجاج على أنه عبارة عن إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها، وعرّفه بأنه "تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من القول، بعضها بمثابة حجج، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها"[6].

والقرآن الكريم يمثل نصًا حجاجيًا في المقامِ الأولِ؛ لأنه يطرح قضية مهمة في الحياة البشرية جمعاء، وفي كل زمان ومكان، تتمثل في وحدانية الله عز وجل، من خلال مخاطبة العقل والوجدان، إنه رسالة موجهة لكل البشر، يقول الله سبحانه وتعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، تسعى إلى تغيير وجهة نظر كانت موروثة وراسخة، أُخذت من الآباء والأجداد؛ حيث حَدَّدت للعبد علاقاته وأفعاله مع الخالق ونفسه والآخرين، إنه موجه أساسًا للتأثير في آراءِ المخاطَبِ وسلوكياتِهِ، واستمالةِ العقولِ، وتوجيهِ النفوسِ، وبهذا كان الحجاجُ من إعجازِ القرآنِ الكريمِ، يقول "علي سليمان": "إعجازُ القرآن لا يمكن أن يكون بنظمه –كما هو عند عبد القاهر الجرجاني –لأن النظم جمهوره ضيّق، وإنما هو فيما اشتمل عليه من ضروب

المنارة للاستشارات
ww

الحجاج، فالحجاج جمهوره مهما ضاق كوني دائما، وآية ذلك أنّ ما يَربط بين الجمهورين الخاص والكوني هو عماد الخطاب الحجاجي"[7].

ولهذا نجد القرآنَ الكريم يُوظف الكثير من الأساليب الحجاجية المتنوعة، التي تُؤَمِن له هذه الغايات، ومن بينها الروابط الحجاجية، والذي يُمثل البحث فيها في القرآن الكريم من أدوات كشف آليات الحجاج اللغوي فيه.

الروابط الحجاجية تعمل على الربط بين مجموع الحجج، أو بين الحجج والنتائج داخل النص الحجاجي؛ ولهذا فهي تُسهم في اتساقه وانسجامه، ابتغاء تحقيق الوظيفة الإقناعية، وقد عرَّفها (أبو بكر العزاوي) بقوله: "الروابط تربط بين القولين، أو بين حجتين أو أكثر، وتُسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية العامة"[8]، وهذه الروابط إما أن تكون روابط حجاجية تربط بين الأقوال من خلال عناصر نحوية، من قبيل: الواو، الفاء، أو مختلف حروف العطف، وإما روابط استنتاجية تلخيصية، مثل: إذن، هكذا، وعليه،أو روابط حجاجية مضادة، نحو: لكن، رغم ذلك، غير أنه...[9]

وقد اقترن مفهوم الروابط بداية بالأدوات النحوية، ومع دراسات "ديكور" ارتبطت بالوظيفة التداولية الحجاجية، بما تفرضه مقاييس المقام والسياق، ودورها "لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أما بُعدها الحجاجي فقد برز مع ديكور في إطار صياغته للتداولية المدمجة، وهي النظرية التداولية التي تُشكل جزءا من النظرية الدلالية"[10].

فالروابط الحجاجية كانت من أهم المبادئ التي اعتمدها "ديكرو" و"وانسكومبر" في نظريتهما الحجاجية، التي تقوم على المبادئ الآتية[11]:

_ إن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

_ إن المكون الحجاجي في اللغة أساسي، والمكون الإخباري ثانوي.

_ عدم الفصل بين الدلالة والتداولية، والدعوة إلى فرضية التداولية المدمجة.

وقد صنَّفها "أبو بكر العزاوي" إلى فئات، تتمثل في[12]:

المنارة للاستشارات
ww

1 – الروابط المدرجة للحجج:(حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن).

2 – الروابط المدرجة للنتائج:(إذن، لهذا، بالتالي).

3 – روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك).

4 – روابط التساوق الحجاجي: (حتى، لا سيما).

فما هي الروابط الحجاجية الواردة في النص القرآني؟ وفيم يتمثل دورها الحجاجي؟

من بين الروابط الحجاجية الواردة في القرآن الكريم، والتي كان لها دور إقناعي وتأثير فيه الآتي:

1.الربط الحجاجي "لكن":

من أدوات التعارض الحجاجي، تقع بين قولين متناقضين، متى حلَّت بالكلام؛ عملت على تبديل الاتجاه الحجاجي، ووجهت متلقي الخطاب الإقناعي (المحاجَج) إلى وجهة جديدة، تُخالف الوجهة السابقة فيه، ولقد أكد على هذا كل من "فيغلون وديكور وزميلته انسكومبر" في قولهم "لكن لا يمكن الوقوف على نجاعتها الحجاجية إلا عند إدماجها في التخاطب، وتحديدًا في أي خانة من خانات استعمال اللغة (وصف الواقع، التعبير عن منطق، التحكم في آليات التخاطب)"[13].

إن باني الخطاب الإقناعي (المحاجّ) يعتمد الرابط الحجاجي (لكن)؛ من أجل دحض النتيجة المستخلصة من القول الوارد قبلها (الحجة الأولى/ح1)، وتدعيم نتيجة القول الذي يليها (الحجة الثانية/ ح 2)؛ ولهذا كانت –الرابط الحجاجي لكن– حرفا يفيد الاستدراك، ومعنى الاستدراك " أن تُنْسِب حُكمًا لاسمها، يُخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك؛ فتداركت بخبره إن سلبًا وإن إيجابًا... قال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسّطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا؛ فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي"[14].

وعليه حدّد "ديكرو" قاعدة لـ(لكن) مفادها "إذا كانت (ق) تخدم نتيجة (ن)، و (ك) تخدم نتيجة (لا ــن)، فإن (ق) لكن (ك) تؤدي حتما إلى (لاــ ن)؛ بحيث (ق) و(ك) حجتان، والاستدراك بـ (لكن) يوجه دلالة القول إلى النتيجة المضادة"[15]، ومثاله قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ

المنارة للاستشارات
ww

دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(البقرة 243)

ففي هذه الآية الكريمة، يقُص الله تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم، فرارًا من الطاعون والموت، هاربين إلى البرية، ولما كان لا ملجأ من الله إلا إليه، جاءهم الموتُ سريعًا في آنٍ واحدٍ، فأماتهم الله، وبعد دهر مرَّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، يُقال له (حزقيل)، فسأل الله أن يُحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك، فقاموا أحياءً يَنظرون، وإحيائهم هذا دليل قاطع على وقوع المِعاد الجسماني يوم القيامة، فالإحياء نعمة من نعم الله الكثيرة علينا[16]، وهذه حجة لنتيجة مضمرة مفادها (شكر العباد لله تعالى على نعمة العظيمة وآلائه الجليلة، وبالتالي الفوز في الدارين (الدنيا والآخر).

لكن ما الواقع من خلال هذه الآية الكريمة؟

يُلاحظ على الآية الكريمة، ورود الرابط الحجاجي (لكن)، الذي عمل على تقسيم القول (الآية الكريمة) إلى قولين، يحملان نتيجتين متضادتين، القسم الأول، والذي يُمثل الحجة الأولى (ح1)، الواقعة قبل الرابط الحجاجي (لكن) (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**)) خادمة لنتيجة (ن)، مفادها (شكر الله وحمده على نعمه العظيمة وآلائه الجليلة، وبالتالي الفوز في الدارين الدنيا والآخرة)، أما القسم الثاني، والذي يُمثل الحجة الثانية (ح2)، الواقعة بعد الرابط الحجاجي (لكن) (**أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) خادمة لنتيجة مضمرة (لا- ن) ،تختلف عن نتيجة القول السابق ل (لكن)(ح1)، وتوجه متلقي الخطاب إلى نتيجة مضادة، مفادها (خُسران الدنيا والآخرة؛ نتيجة أن معظم العباد لا يقومون بشكر الله تعالى على ما أنعم عليهم في دينهم ودنياهم).

وبهذا أصبح القول (الآية الكريمة) يتكوّن من (ح1) لكن (ح2)، (ألم تر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذُو فضل على الناس) لكن (أكثر الناس لا يشكرون)؛ حيث (ح1) تنتمي إلى فئة حجاجية، تُحددها النتيجة (ن) (شكر الله

المنارة للاستشارات

وحمده على نعمه العظيمة)، في حين (ح2) تنتمي إلى فئة حجاجية تُحددها (لا- ن) (معظم الناس لا يقومون بشكر الله)، فالحجتان لهما وجهتان متقابلتان، وهذا ما يُسمى بالتوجيه المضاد، والتي يمكن التمثيل لها بالخطاطة الآتية:

الفوز في الدارين (الدنيا والآخرة)
جراء شكر العباد لله وحمدهم على
نعمه العظيمة وآلائه الجليلة

ن

لكن

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ))

((أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ))

2.الرابط الحجاجي "بل":

من روابط التعارض الحجاجي، يربط بين حجتين معارضتين، تخدمان نتيجتين مختلفتين، تعمل – بل– على تقوية حجة على أخرى؛ حيث تكون الحجة الواردة بعده(ح2) أقوى حجاجيا من الواردة قبله (ح1)، وموجِهة للقول برمته، بمعنى أن النتيجة التي ترمي إليها (ح2)، (لا- ن) (النتيجة المضادة) تُمثل النتيجة العامة للنص؛ وبهذا تكون النتيجة البعدية (ح2) في أعلى درجات

المنارة للاستشارات
ww

السلم الحجاجي، ولعل هذا ما أكده "الرماني" في قوله "إن بل من الحروف الهوام، ومعناها الإضراب عن الأول والاتجاه للثاني"[17].

وقد يعتمد المحاجّ (باني الخطاب الإقناعي) الرابط الحجاجي(بل)، في ترتيب حججه المدّعِمة لبعضها البعض، على سلم حجاجي واحد؛ بحيث لا يعمد من خلاله –الرابط الحجاجي (بل)– إلى إبطال ما قبله، وإثبات ما بعده، وإنما ينتقل به من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى؛ ولهذا يُمكن أن نميّز هنا بين (بل الحجاجية) المرادفة ل(حتى)، القائمة على الربط بين حجج متساوقة، وبين (بل الحجاجية) المرادفة ل(لكن)، القائمة على الربط بين حجج متعارضة[18].

وقد ذهب "أبو بكر العزاوي" إلى تأكيد هذا بقوله: "إن الرابط (بل) يربط بين حجتين متساوقتين، أي تخدمان نتيجة واحدة، أو يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة، إلا أن الحجة الواردة بعده أقوى من الحجة أو الحجج التي تتقدّمه، ومن هنا ترادف (بل) (حتى)، فـ(بل) تُعتبر هنا من روابط التساوق الحجاجي"[19].

والرابط (بل) له حالان[20]:

1– أن يقع بعده جملة.

2– أن يقع بعده مفرد.

فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عما قبله، إما على جهة الإبطال... وإما على وجه الترك للانتقال من غير إبطال...وإذ وقع بعد (بل) مفرد فهي حرف عطف، ومعناه الإضراب، ولكن حالها فيه مختلف: فإن كان بعد نفي، نحو ما قام زيد بل عمرو، أو نهي نحو: لا تضرب زيدا بل عمرًا، فهي لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعدها.

وذهب "أبو بكر العزاوي" إلى القول في هذا: إن الرابط الحجاجي (بل)، الذي يرد في خطاب ما، هو الرابط الذي يُقيم العلاقة الحجاجية المركزية في الخطاب، هذه العلاقة التي تحكم كل عناصر الخطاب ومكوناته، هذه العلاقة بدورها مكونة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين[21]:

1– علاقة بين النتيجة والحجة الأولى.

المنارة للاستشارات
ww

2- علاقة حجاجية ثانية، تسير في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل)، والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة.

ويعمل الرابط الحجاجي على وجهين:[22]

1- تكون الحجة التي ترد بعده أقوى من الحجة التي ترد قبله؛ إذ توجه النص كله، ونتيجتها هي النتيجة العامة له.

2- قد يعمل الرابط -بل- على الانتقال من درجة دنيا إلى أخرى أعلى في الحجاج، ولا يعمل على إبطال ما جاء قبله وإثبات ما بعده.

ومثال قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(النساء 49).

ففي هذه الآية الكريمة، توبيخ من الله عز وجل للذين يزكون أنفسهم بأمر ليس فيهم من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم، الذين قالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه)، بزعمهم أنه لا ذنوب لهم، وأن الثواب لهم وحدهم، فهذه مجرد دعوى لا برهان عليها، فهم كذبة في هذا، وليس لهم خصال الزاكين نصيب؛ بسبب ظلمهم وكفرهم، وإنما الذي يُزكي هو الله عز وجل، فالمرجع في ذلك إليه وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه الأعلم بحقائق الأمور وغوامضها، ويكون ذلك بالإيمان والعمل الصالح، وبالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الحميدة، فالله سبحانه وتعالى لا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل.[23]

يُلاحظ على الآية الكريمة، وجود الرابط الحجاجي (بل)، الذي أفاد الإضراب المفيد للارتقاء؛ حيث قسّم الفعل اللغوي(الآية الكريمة) إلى قولين، ورتبهما ترتيبا حجاجيا متفاوتا، قول قبلي (ح1) وبعدي (ح2)، تمثل عمله في الإضراب عن القول الأول (ح1) (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم)؛ لنفي وإبطال وجهته (نتيجته)(إبطال تزكيتهم لأنفسهم إذ ليسوا أهلا لذلك)، وبهذا يكون قد أوردها في درجة أدنى من درجات السلم الحجاجي، وإثبات نتيجة القول البعدي (ح2)

المنارة للاستشارات

(الله يُزكي من يشاء)، والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى وحده فقط يُزكي من يشاء، وجعله في مرتبة أعلى من مراتب السلم الحجاجي، ويمكن التمثيل لهذا بالخطاطة الآتية:

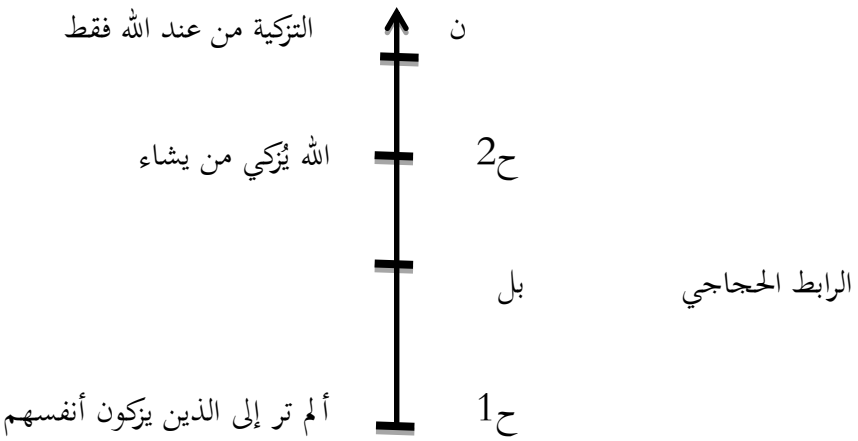

وبهذا يكون الرابط الحجاجي (بل) في هذه الآية الكريمة، عمل على إبطال الحكم الأول، وإثباته للثاني.

ومن جانب آخر، قد يعمل الرابط الحجاجي (بل) على الإضراب الانتقالي، الدال على الانتقال من أخبار إلى أخرى، أين يُقيم علاقة حجاجية بين حجتين متساوقتين (قبلية وبعدية) أي تخدمان نتيجة واحدة، ومثال ذلك قوله عزّ وجل﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

فهذه الآية الكريمة تتحدث عن الغاوين الضالين، الذين لا ينتفعون بالجوارح، التي جعلها الله سببا للهداية؛ إذ أنهم لا يسمعون الحق، ولا يُبصرون الهدى، فهم كالبهائم السارحة، التي فقدت العقول، فهي لا تنتفع بهذه الحواس، أي مثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كالبهائم؛ إذ أرعاها

المنارة للاستشارات
ww

راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول (بل هم أضل) من البهائم؛ ذلك أن البهائم مستعملة فيما خُلقت له، فلها أذهان تُدرك بها مضرتها من منفعتها؛ فلذلك كانت أحسن حالا منهم، لأنها تفعل ما خُلقت له، إما بطبعها، وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر، الذي خُلق ليعبد الله ويُوحده؛ فكفر بالله، وأشرك به؛ ولهذا فمن كفر به من البشر كانت الدواب أفضل منه[24].

يُلاحظ هنا أن الرابط الحجاجي (بل)، الذي ورد في الآية الكريمة السابقة، أفاد الإضراب الانتقالي، الانتقال من أخبار إلى أخبار من غير إبطال ما سبق؛ حيث أقام علاقة حجاجية بين حجتين متساوقتين، أي تخدمان نتيجة واحدة، تتمثل في (شدة فساد عقول الضالين)، فالجملة الأولى (الحجة الأولى/ح1) (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام)، والتي شبهتهم بالأنعام في انتفاء منافع الإدراكات المؤدية إلى إتباع ما جاءت به الرسل، وقد وردت هذه الحجة قبل الرابط الحجاجي (بل)، أما الجملة الثانية (ح2)، التي وردت بعد الرابط الحجاجي (بل)، والمتمثلة في (هم أضل)، أقوى حجاجيا من الحجة السابقة؛ حيث أثبتت لهم المبالغة في ضلال طريقهم الذي سلكوه، والتي يُمكن التمثيل لها بالخطاطة (السلم الحجاجي) الآتية:

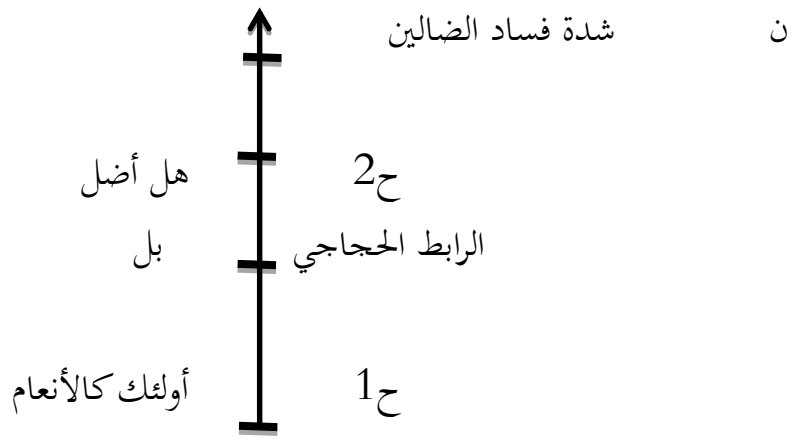

المنارة للاستشارات
ww

يُلاحظ هنا أن الحجتين (ح1) و(ح2) تنتميان إلى السلم الحجاجي نفسه، ومدعمتان للنتيجة نفسها، وهي (شدة فساد الضالين)، إلا أن (ح2) (هم أضل) أقوى درجة من (ح1) (أولئك كالأنعام)، وهذا باعتبار أن (هم أضل) من الأنعام، أقوى حجة على (شدة فساد الضالين)، وبالتالي فهي (ح2) أصلح لتدعيم النتيجة المقترحة.

3.الرابط الحجاجي "حتى":

حرف يأتي لانتهاء الغاية، وهو الغالب عليه، فتكون حرف جر، وقد تأتي "حتى" حرف عطف بمنزلة (أو)، ومن أوجه (حتى) أيضا أن تكون حرف ابتداء، أي حرف تستأنف بعده الجمل[25].

وقد قال عنها "الحسن المرادي" بأنها على "أربعة أوجه: إما نصية، أو جارة، أو حرف ابتداء، وقد تجيء للعطف، فيكون للمعطوف إمّا أفضل أو أحسن، وقد تأتي بمعنى الفاء"[26].

ومن الناحية الحجاجية، يُعد (حتى) من روابط التساوق الحجاجي، الذي يربط بين حجتين أو أكثر، لها التوجه الحجاجي نفسه، أي تخدم نتيجة واحدة؛ بحيث تكون الحجة البعدية أقوى من الحجة القبلية، وقد أكد على هذا "أبو بكر العزاوي" في قوله: "حتى من الروابط المتساوقة حجاجيا، والمدرجة للحجج القوية، والحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى؛ لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل إلا الإبطال والتعارض الحجاجي"[27]

ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾(يونس آ88).

في هذه الآية الكريمة إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملئه، لما أبوا قبول الحق، واستمروا في الضلال، فما أعطاه الله إليهم من أموال وخيرات لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيل الله فيضِلُّون ويُضِلُّون[28].

المنارة للاستشارات
ww

يُلاحظ على الآية الكريمة وجود الرابط الحجاجي (حتى)، الذي تجلت حجاجيته في ربطه بين حجتين متساوقتين، تخدمان نتيجة واحدة، والمتمثلة في (استمرار فرعون وملئه على ضلالهم)؛ حيث كانت الحجة البعدية (ح2) (يروا العذاب الأليم)، أقوى في دلالتها وتثبيتها للنتيجة المضمرة (ن) من الحجة القبلية (ح1) (لا يؤمنوا)، ويمكن التمثيل لهذا في الخطاطة الآتية:

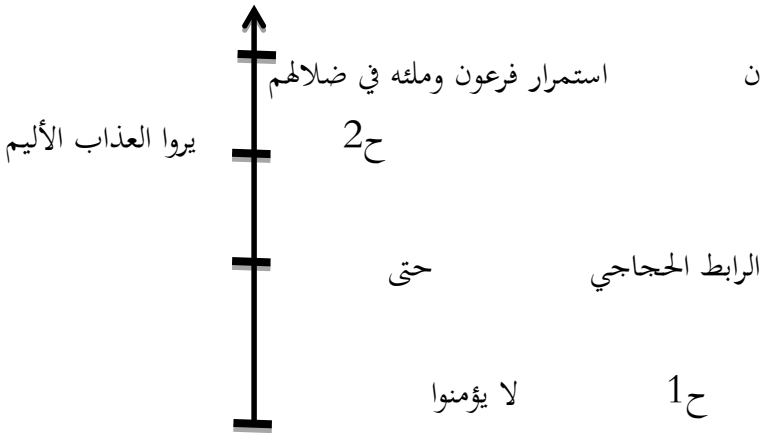

وتأسيسًا على ما سبق، نقول إن الرابط الحجاجي (حتى)، يخدم نتيجة واحدة، منطلقها من حجتينمتساوقتين (قبلية (ح1) وبعدية (ح2))، تنتميان إلى الفئة الحجاجية ذاتها؛ بحيث الحجة الواردة بعده (ح2) أقوى حجاجيا من الحجة الواردة قبله (ح1).

4.الرابط الحجاجي " الواو":

من الروابط الحجاجية الواصلة بين الحجج المتساندة؛ إذ يقوم بالربط بين الحجج المتساوقة وترتيبها، وتقوية بعضها ببعض؛ من أجل إثبات نتيجة واحدة، ولهذا تترتب على سلم الحجاجي واحد.

ومثال قوله تعالى﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

المنارة للاستشارات
ww

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) ﴾(الفرقان آ63-74).

الرابط الحجاجي (الواو) في هذه الآيات الكريمة، قام بالوصل بين عدد من الحجج المتساوقة، كما قام بترتيبها؛ لتحقيق النتيجة المرجوة، المتمثلة في (صفات عباد الرحمان)، والتي كانت كالآتي: الحجة الأولى (ح1) والتي عبّرت عن تواضع عباد الرحمان: (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً)، تليها الحجة الثانية (ح2)، والتي أشارت إلى صفة الحِلم والصفح (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا)، ثم الحجة الثالثة (ح3)، تحدثت عن صفة قيام الليل (الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا)، بعدها صفة الخشية من عذاب الله في الحجة الرابعة (ح4) في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)، في حين تمثّلت صفة الاقتصاد في النفقة في الحجة الخامسة (ح5)، في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)، وبعدها الحجة السادسة (ح6) (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)، والتي أشارت إلى صفة (إخلاص العبودية لله وحده)، ثم الحجة السابعة (ح7)، والتي عبّرت عن صفة (البعد عن كل باطل) (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) ،تليها الحجة الثامنة (ح8)، التي تحدثت عن صفة التأثر بآيات القرآن في قوله:(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)، وأخيرا صفة الدعاء بصلاح الأزواج والذرية في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)، ويمكن تمثيل الحجج الواردة في هذه الآيات وفق السلم الحجاجي الآتي:

المنارة للاستشارات
ww

ن	صفات عباد الرحمان
ح9	(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)
الرابط الحجاجي	الواو
ح8	(الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانا)
الرابط الحجاجي	الواو
ح7	(لا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ولا يزنون والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مروا كراما)
الرابط الحجاجي	الواو
ح6	(الذين لا يدعون مع الله إلها آخر)
الرابط الحجاجي	الواو
ح5	(الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا)
الرابط الحجاجي	الواو
ح4	(الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم)

المنارة للاستشارات

الرابط الحجاجي	الواو
ح3	(الذين يبيتون لربهم سجدًا وقياما)
الرابط الحجاجي	الواو
ح2	(إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)
الرابط الحجاجي	الواو
ح1	(الذين يمشون على الأرض هَوْنًا)

حيث تمثل: (ح1- ح2- ح3- ح4- ح5- ح6- ح7- ح8- ح9) حججًا مترابطة، وكل حجة تُساند الأخرى وتقويها، بواسطة الرابط الحجاجي (الواو)؛ لتحقيق نتيجة واحدة (ن) (صفات عباد الرحمان).

خاتمة:

لقد أسهمت الروابط الحجاجية، التي تتصل بالبنية الداخلية، على مستوى النص القرآني،في توجيه النص الوجهة الصحيحة (النتيجة المبتغاة)، التي يرومها المرسِل، وأعطته قوة تأثيرها مضاعفة، عملت على إقناع المخاطَب بها؛ وذلك من خلال ربط الحجج بعضها ببعض وتقويتها، وربط الحجج بالنتائج، بواسطة روابط التساوق والتعارض الحجاجي، والروابط المدرجة للحجج، والأخرى المدرجة للنتائج، وعملت على تماسك النص القرآني وانسجامه.

الهوامش والإحالات:

[1]- الحواس سعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النحل أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع12، ديسمبر 1977، ص 330.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، ط1، لبنان ،2001 م، ص 27.

[3]- محمد طلحة، تداولية الخطاب السردي، منشورات الحياة الصحافة، ط1، الأغواط، 2008م، ص 126

المنارة للاستشارات

[4]- أحمد أتزكي، الحجاج في المناظرة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، الأغواط، ط1، بيروت، لبنان، 2013م، ج1، ص 1068.

[5]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،ط 1، المغرب، ، 1988م، ص 213.

[6]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، الرباط، (1426هـ/2005 م)، ص 16.

[7]- علي سليمان، النظرية الحجاجية في البلاغة العربية تكاد تكون مفقودة، صحيفة الوسط البحرينية، ع2750، مارس 2010، www.alwasatnews.com

[8]- المرجع السابق، ص 27.

[9]- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، ص 29.

[10]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية تطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، دار الروائد الثقافية، ط 1، بيروت، لبنان، 2013 م، ص 10.

[11]- خالد إسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية اللغوية في الخطابة السياسية، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة دي قار، ع1، 2010م، ص 156.

[12]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.

[13]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 19.

[14]- الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، دار الكتب العلمية، ط1، تحق: فخر الدين عباوة وفاضل محمد نديم، بيروت، ،(1413هـ/ 2007م)، ج1، ص59.

[15]- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة العربية، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، تنسيق: حمادي محمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، دط، تونس، ص 335.

[16]- ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المكتبة العصرية، دط، تحق: محمد علي الصابوني، بيروت،(1428هـ/2007م)، ج1، ص 179، وعبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ط2، تحق: عبد الرحمان بن معلاّ اللويحق وعز الدين ضليّ، بيروت، 2013م، ص98.

[17]- الرماني، معاني الحروف، المكتبة العصرية، ط1، تحق: عرفان بن سليم حسونة، بيروت، (1426هـ/ 2005م)، ص 71.

[18]- ينظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ط1، تحق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، (1429هـ/2008م)، ص 206.

[19]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 63.

[20]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعاريب، دار إحياء التراث العربي، دط، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، دت، ج1، ص 112.

[21]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، ط 1، الدار البيضاء، (1427هـ /2007 م)، ص ص 22، 23.

[22]-ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج،ص 57- 70.

[23]- ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ص 322، وعبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ص ص 178،179.

المنارة للاستشارات

[24]- ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ص 52، وعبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ص 319.

[25]- ينظر: علي جاسم سليمان، موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص 25.

[26]- الحسن المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 92.

[27]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.

[28]- ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج 2، ص 163، وعبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ص 387.

-قائمة المصادر والمراجع:

-الكتب:

1-أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، ط 1، الدار البيضاء، (1427هـ /2007 م) .

2-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، الرباط، (1426هـ/2005 م).

3-حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دار الروائد الثقافية، ط1، بيروت، لبنان، 2013م، ج1.

4-الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، دار الكتب العلمية، ط1، تحق: فخر الدين عباوة وفاضل محمد نديم، بيروت (1413هـ/ 2007م)، ج1.

5- حمادي محمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، دط، تونس.

6-الرماني، معاني الحروف، المكتبة العصرية، ط1، تحق: عرفان بن سليم حسونة، بيروت، (1426هـ/ 2005 م).

7- السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ط1، تحق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي،(1429هـ/2008م).

8-طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 1988م

9-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرآبي، ط1، لبنان، 2001 م.

10-عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ط2، تحق: عبد الرحمان بن معلاّ اللويحق وعز الدين ضليّ، بيروت، 2013م.

11-عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

12-علي جاسم سليمان، موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، 2003 م.

13-ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المكتبة العصرية، دط، تحق: محمد علي الصابوني، بيروت، (1428هـ/2007م)، ج1.

14-محمد طلحة، تداولية الخطاب السردي، منشورات الحياة الصحافة، ط1، الأغواط، 2008م.

15-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعاريب،دار إحياء التراث العربي، دط، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، دت، ج1.

المنارة للاستشارات
ww

-المجلات:

16-الحواس سعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النحل أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 12، ديسمبر 1977،.

17- خالد إسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية اللغوية في الخطابة السياسية، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة دي قار، ع1 ، 2010م.

18- علي سليمان، النظرية الحجاجية في البلاغة العربية تكاد تكون مفقودة، صحيفة الوسط البحرينية، ع2750، مارس 2010.

19- الحواس سعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النحل أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها

المنارة للاستشارات

ww